74 - السيدة أم إسحاق

إسلامها وأخيها

كانت أم إسحاق الغنوية تقيم في مكة مع أخيها، ولما أشرقت شمس الإسلام، وانطلقت شعاعاتها من دار الأرقم بن أبي الأرقم فدخلت من خصاصات أبواب بيوتها، واستقرَّت في قلوب سكَّانها إلاَّ من أبي، وحال دون دخولها إلى بيته تكبُّراً عناداً، وعلوّاً في الأرض وفساداً، لا يريد بعده رشاداً.

لكن أم إسحاق الغنوية ما إن سمعت بنور الإسلام المبين، حتى أشرعت أمامه الأبواب والنوافذ، وفتحت له كلَّ المنافذ، فاحتلَّ قلبها على عجل، وانتزع منه الخوف والوجل، وسألت ربها الثبات عليه حتى يوافيها الأجل.

وتابعها أخوها فيما بلغها عن هذا الدين، وكان لها نعم النصير والمعين، وساء أم إسحاق أن يقف زوجها مع المعارضين، ويقيم على شركه بين المشركين، وأخذ يهدِّدها ويهدِّد أخاها، ويتوعَّد من ساندها في مبتغاها.

ولذلك فقد اتَّفقت أم إسحاق مع أخيها على الهجرة إلى المدينة في غفلةٍ من زوجها، فلما جاوزا بعض الطريق، التفت أخوها إليها وقال: انتظريني هنا يا أم إسحاق، فقد نسيت مالي بمكة، وسأرجع حتى آتي به، ثم أعود إليك، وأبدت له أم إسحاق قلقها عليه من زوجها الفاسق، لكنه طمأنها بأن سيعود سريعاً.

ومرَّ على أم إسحاق زمنٌ أطول مما يحتاجه أخوها، وفيما هي تفكِّر بما جرى له عرفها أحد المسافرين، فدنا منها وقال لها: ما الذي تنتظرين هنا

يا أم إسحاق؟ فقالت: إني أنتظر أخي، فقال لها: إن أخاك لن يجد إلى الرجوع إليك سبيلاً، بعد أن خلَّفه زوجك قتيلاً.

بركة النبي ﷺ تصيبها

وصعقت أم إسحاق لهذا الخبر، واضطرت إلى متابعة السفر، ولما وصلت المدينة سألت عن رسول الله ﷺ، وحين أقبلت عليه كان ﷺ يتوضَّأ، فأخذت تحدِّثه بما جرى لها ولأخيها وهي تبكي، فنضح ﷺ ماء يده في وجهها، فأصبحت إذا بكت تبقى الدموع في وجهها ولا تسيل على خدَّها.

كانت أم إسحاق تكثر زيارة رسول الله ﷺ وكان هو يكرمها ويحسن إليها في هذه الزيارات، حَدَّث عَبْدُ الصَّمَدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَشَّارُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ: حَدَّثَتْنِي أُمُّ حكيم بِنْتُ دِينَارٍ، عَنْ مَوْلاَتِهَا أُمِّ إِسْحَاقَ أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَأُتِيَ بِقَصْعَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ فَأَكَلَتْ مَعَهُ وَمَعَهُ ذُو الْيَدَيْنِ فَنَاوَلَهَا رَسُولُ الله ﷺ عَرْقاً فَقَال: «**يَا أُمَّ إِسْحَاقَ، أَصِيبِي مِنْ هَذَا**» فَذَكَرْتُ أَنِّي كُنْتُ صَائِمَةً، فَرَدَدْتُ يَدِي لا أُقَدِّمُهَا وَلا أُؤَخِّرُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا لَكِ؟**» قَالَتْ: كُنْتُ صَائِمَةً، فَنَسِيتُ، فَقَالَ ذُو الْيَدَيْنِ: الآن؟ بَعْدَما شَبِعْتِ!! فَقَال النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتِمِّي صَوْمَكِ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ الله إِلَيْكِ**»[1].

رحم الله أم إسحاق فقد أخبرتنا بهذا الحديث أن الصائم إذا أكل ناسياً لا يفسد صومه، ويواصل الصيام بقية اليوم ولا شيء عليه من الكفَّارة أو القضاء.

(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أم إسحاق مولاة أم حكيم/ برقم: (25822).